البراغماتية : السياسة الصينية في الشرق الأوسط بعد الثورات العربية

Pragmatism: Chinese politics in the Middle East after the Arab revolutions

تاريخ إرسال المقال : 2018/01/13 تاريخ قبول المقال للنشر: 2018/02/17

ط.د. فريدة العلمي / جامعة باتنة 1

ملخص :

برزت الصين كقوة اقتصادية صاعدة بعد نهاية الحرب الباردة ، وبحثاً عن الاستمرارية في تبوء المراكز الأولى اقتصادياً ، وتحقيق الأهداف المسطرة ، أصبح لها تواجد في كل مناطق العالم : إفريقيا ، أمريكا اللاتينية ، منطقة الشرق الأوسط هذه الأخيرة التي تربطها بها مصالح حيوية ، على رأسها تأمين الطاقة ومصالح إستراتيجية أخرى ، وتعرف السياسة الصينية بعدم التدخل في شؤون الدول والعمل على تبادل المصالح والنافع بشكل متكافئ مع شركائها، وهي التي تتميز بالطابع البراغماتي، وبقيام الثورات العربية كان للصين موقفاً متحفظاً في البداية ، لكنها تعاونت بعدها مع الحكومات الجديدة في مصر وتونس بشكل عادي ،إلا أنها استخدمت حق الفيتو في القضية السورية بهدف كسب حلفاء لها في المنطقة (روسيا-إيران) تثبيتاً لدورها في الشرق الأوسط أمام المنافس الأول الولايات المتحدة. واقتضت مصلحتها في ليبيا ترقب ما يصدر من الطرفين ومحاولة المراهنة على الاحتفاظ بالطرف الرابح. وعموما لم تؤثر الثورات العربية بعمق على التوجه الاستراتيجي للصين في منطقة الشرق الأوسط كون براغماتيتها العالية تسمح لها بالتواجد في المكان الصحيح الذي تمليه المصلحة مهما كانت النتائج.

الكلمات المفتاحية : البراغماتية ، السياسة الصينية ، الشرق الأوسط ، الثورات العربية ، المصالح.

Abstract :

China has emerged as an economic power emerging after the end of the Cold War, in search of continuity in occupy the first rank economically, and achieve the objectives underlined, now has a presence in many regions of the world: Africa, Latin America; Middle East region with which it has vital interests, especially the insurance energy other strategic interests ,China›s policy is known of non-interference in the affairs of nations and work on mutual interests and beneficial equally with

its partners, which is characterized by its pragmatic ,by the establishment of the Arab revolutions, China had a conservative attitude in the beginning, but it worked then with the new governments in Egypt and Tunisia normally , but it used its veto power in the Syrian issue in order to gain allies in the region (Russia-Iran)and to confirm its role in the Middle East face to the first competitor the United States. in Libya question it waits and see what comes from both sides and try to keep betting on the winning party. In general, the Arab revolutions have not deeply affect the strategic direction of China in the Middle East that its high pragmatic allow her to be in the right place, which is dictated by the interest, whatever the consequences.

Keywords: pragmatism, Chinese politics, Middle East, Arab revolutions, interests.

مقدمة :

تعد الصين أحد اللاعبين الرئيسيين في النظام الدولي الحالي ، كما أن وزنها الدولي يتزايد بوتيرة متسارعة رفع معها سقف التوقعات إلى كونها ستصبح في السنوات القليلة القادمة القوة رقم واحد في العالم . وتماشياً مع ذلك فقد شهدت السياسة الخارجية الصينية تحولات كبيرة وعرفت تطورات ملحوظة حيث أصبحت أكثر خفة في الحركة وأكثر مشاركة ، كما أن الصين أصبحت لاعبا أكثر قدرة ومهارة في اللعبة الدبلوماسية .

وتقوم السياسة الخارجية الصينية على عدد من المحددات التي تساعد على استشراف توجهاتها تجاه قضايا دولية محددة ، فتؤدي اعتبارات الإيديولوجيا وتحقيق المصالح دورا رئيساً في تحديدها ، في ظل سياسة خارجية تحمل طابع البراغماتية . وبناء على ذلك فقد توسعت اهتمامات القوة الصاعدة بالعالم الخارجي لتحقيق أهداف سياستها، وسعياً إلى أن تتوازى مطامحها الاقتصادية مع مطامحها السياسية . وتعد منطقة الشرق الأوسط إحدى أهم المناطق التي تكثّف فيها النشاط الصيني منذ نهاية الحرب الباردة بشكل ملحوظ ، رغم أن العلاقات الصينية الشرق أوسطية هي أقدم من ذلك ، حيث تنظر الصين إلى الشرق الأوسط بثرواته وموقعه الاستراتيجي على أنه منطقة تشابك في الصراع المحتدم والمتواصل بين القوى الدولية المتنافسة على مناطق النفوذ ، وترى أنَ حسم الصراع لصالح أية قوة دولية سيتحدد في هذه المنطقة الجغرافية من العالم ، وانطلاقاً من ذلك بنت الصين إستراتيجية تُسير وفقها مصالحها في المنطقة مع ما يتناسب مع سياستها الخارجية . وبقيام الثورات العربية أو ما يعرف بثورات الربيع العربي ، شهدت المنطقة العربية تحولات هامة ما تزال مخرجاتها غير معروفة المآلات ، كما ألحقت تراجعا أمنياً بالمنطقة وأضفت نوعا من اللا استقرار مس جوانب هامة

وحساسة في هياكل هذه الدول ، وقد عكفت القوى الدولية الكبرى و معها الصين على تطوير استراتيجياتها للتعامل مع المعطيات الجديدة التي أملتها مرحلة ما بعد الثورات العربية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط ، وتأثيراتها المتوقعة على نسق ميزان القوى الإقليمي وامتداداته العالمية، نظراً لدور الثورات الكبير في رسم معالم المستقبل، وما تستدعيه من قراءات جديدة لجملة من المتغيرات بغية الانخراط في الهندسة السياسية لهذه المنطقة الحيوية والمهمة من العالم. والسؤال الرئيس هنا هو:

ما هو تأثير الثورات العربية على السياسة الصينية في الشرق الأوسط ؟ وعليه:

ما هو موقف الصين من الثورات العربية ؟ و ما هو المعيار الذي تَحكّم في مختلف ردود أفعالها تجاه هذه الثورات؟

ونحتاج إلى طرح أسئلة فرعية أخرى للتمكن من الإجابة عليه :

ما هي المصالح والأهداف التي لطالما ربطت الصين بالشرق الأوسط ؟ ماهي طبيعة الدور الصيني في الشرق الأوسط؟ ما موقعه من الدور الأمريكي في المنطقة باعتباره الدور المهيمن بصورة واضحة منذ أحداث 11سبتمبر 2001؟

وسنعالج هذه المسائل وفق المحاور الآتية:

1- الإطار النظري والإحاطة بمصطلحات البحث: البراغماتية- الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط - الثورات العربية.

2- مصالح وأهداف الصين في الشرق الأوسط قبل الثورات العربية.

3- الصين والولايات المتحدة في الشرق الأوسط: طبيعة الأدوار.

4- موقف الصين من الثورات العربية.

5- تأثيرات الثورات العربية على السياسة الصينية في الشرق الأوسط.

خاتمة.

أولاً: الإطار النظري:

1- تعريف البراغماتية (pragmatism) :

مشتق من اللفظ اليوناني (pragma) ، وتعني العمل ، ويؤخذ منها كلمة (عملي) ، وقد عرفها قاموس ويبستر العالمي (webster) : بأنها تيار فلسفي أنشأه « تشارلز بيرس» « charles senders peirce» « ووليام جيمس « « will james» يدعو إلى حقيقة أن كل المفاهيم لا تثبت

إلا بالتجربة العلمية.

وعرفها المعجم الفلسفي بأنها : مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملا . وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة . والبراغماتي بوجه عام : وصف لكل من يهدف إلى النجاح ، أو إلى منفعة خاصة.[1]

وقد أشار بيرس في مقالته التي بعنوان (كيف نجعل أفكارنا واضحة) إلى أن عقائدنا إنما هي في الواقع قواعد للعمل والأداء ، وأننا لكي ننشئ فكرة معينة ، فكل ما نحتاج إليه هو تحديد أي سلوك وأي فعل تصلح لإنتاجه ، وأننا لكي نتأكد من وضوح أي فكرة ، علينا أن ننظر في الآثار والنتائج العملية التي تحققها في الواقع ، سواء كانت هذه النتائج مباشرة أو غير مباشرة.[2]

يعتمد الفكر السياسي البراغماتي بشكل أساسي على الدارونية القائلة بأن البقاء للأقوى والأصلح، وإذا قمنا بدراسة تاريخية للعلاقات الدولية نرى بأن هذه المقولة صحيحة، فالدولة الضعيفة وغير القادرة على تحقيق مصالحها وحماية شعبها تفقد احترامها بين القوى العظمى وتصبح عرضة للاحتلال والتفكك. ويقال أن البراغماتية منبعها هو الصين وليس الغرب وهذا الكلام يعتقد به الكثير من المفكرين والكتاب والمتخصصين في دراسة الفكر الصيني والحقيقة أن الليونة البراغماتية تتلخص في مقولة رجل نهضة الصين وراعي انجازاتها الاقتصادية المعاصرة الرئيس الراحل «دانغ شياو بينغDeng Xiaoping» 1904م-1997م الذي يقول «لا يهم ما يكون لون الهر ابيض أو أسود المهم أن يأكل الفأر[3]»

2- الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط:[4]

إن التنافس على موارد الطاقة هي إحدى الغايات الرئيسة للدول الكبرى التي تسعى إلى تأكيد نفوذها، وتأمين احتياجاتها من النفط الخام والغاز، في ظل تسارع وتيرة الإنتاج وفي ظل اضطرابات مالية تصيب الاقتصاد العالمي باهتزازات متتالية، وفي ظل السباق على حجز مواقع متقدمة في السوق الدولية. من هنا تكمن أهمية منطقة الشرق الأوسط في حسابات الدول، بخاصة بعد نهاية مرحلة الحرب الباردة وبروز أقطاب جدد على المسرح الدولي.

وتُعتبر منطقة الشرق الأوسط، التي تسمى أيضًا في بعض دوائر القرار بمنطقة غربي آسيا وشمالي أفريقيا، من أهم المناطق التي تتنافس فيها الدول الكبرى في العالم نتيجة لموقعها الإستراتيجي البالغ الأهمية في العالم، ونتيجة للتنافس الدولي والنزاعات والتوترات الداخلية، مما جعلها تعاني اضطرابات وتوترات بين حين وآخر، وتنفجر فيها الحروب والنزاعات المسلحة. ويولي معظم حكومات الدول الكبرى اهتمامًا كبيرًا لهذه المنطقة.

ومع انتهاء الحرب الباردة، تحولت منطقة الشرق الأوسط، بدلًا من أوروبا، مسرحًا زاخرًا بالعلاقات الدولية المتأزمة. وكانت مخططات الصراع الدولي حافلة بتوقّعات الاجتياح

السوفياتي لأوروبا الغربية، الأمر الذي كان يستوجب دفاعًا أميركيا عنها. لكن بعد سقوط جدار برلين وأطروحة هانتنغون «صدام الحضارات» وزوال الاتحاد السوفياتي، برز كلام جديد عن «مواجهة بين الحضارتين الإسلامية والغربية»، وبأن الشرق الأوسط خط التماس بين الحضارتين.

وعلى الرغم من أن كثيرين لم يوافقوا على أطروحة هانتنغتون في «صدام الحضارات» وعلى رأسهم الرئيس الأميركي بيل كلينتون آنذاك، فإن هذا الفكر كان يعكس تطلعات بعض النخب الأميركية حول هذه المنطقة التي اعتبروها بمنزلة تهديد لهم ومصدرًا للموارد الأولية.

3- الثورات العربية:

المقصود بالثورة هوتحرك شعبي واسع خارج البنية الدستورية القائمة أوخارج الشرعية يتمثل هدفه في تغيير نظام الحكم القائم في الدولة والثورة بهذا المعنى هي حركة تغيير لشرعية سياسية قائمة لا تعترف بها وتستبدلها بشرعية جديدة.[5]

وغالباً ما يستخدم مفهوم الثورة لوصف انقلاب عسكري ، أو انتفاضة شعبية مؤقتة تؤدي إلى تغيير سطحي وجزئي في النظام السائد بينما المعنى الدقيق للثورة هو أنها تقود إلى تغييرات جذرية في معطيات الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي بشكل عميق ، وينتج منه على المدى الطويل تغييرفي بنية التفكيرالاجتماعي لذلك المجتمع ، وبناء عليه ، فلا يجب إرجاع الخطاب إلى مرجعيته البعيدة ، بل يجب معالجته في إطاراللحظة ، فالتسارع المفاجئ في التاريخ ليس ناتجا من قطيعة ولا حتى لظهور مفاجئ لمطالب الحرية.[6]

ويتلاقى في عبارة «**الثورات العربية**» مفهومان، هما: مفهوم الثورة ومفهوم العرب، حيث تحمل الثورة معنى جديداً ومركبات جديدة، تنهض أقلمته على حراك احتجاجي اجتماعي، سلمي ومدني، يهدف إلى تغيير النظم السياسية، التي قامت على التسلّط والاستبداد، ويشارك فيها قطاعات واسعة من الشعب، وتتمحور أهدافها على مقولة ثلاثية، تجمع بين الكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية. أما مفهوم العرب فيحمل معنى جديداً ومركبات جديدة أيضاً، حيث العرب الثائرون، اليوم، غيرعرب الجاهلية، ولا عرب الأسلاف والغلبة، ولا عرب الخنوع والذل، وليسوا عرباً كارهين للآخر.[7]

ثانياً: مصالح وأهداف الصين في الشرق الأوسط: الطاقة أولاً.

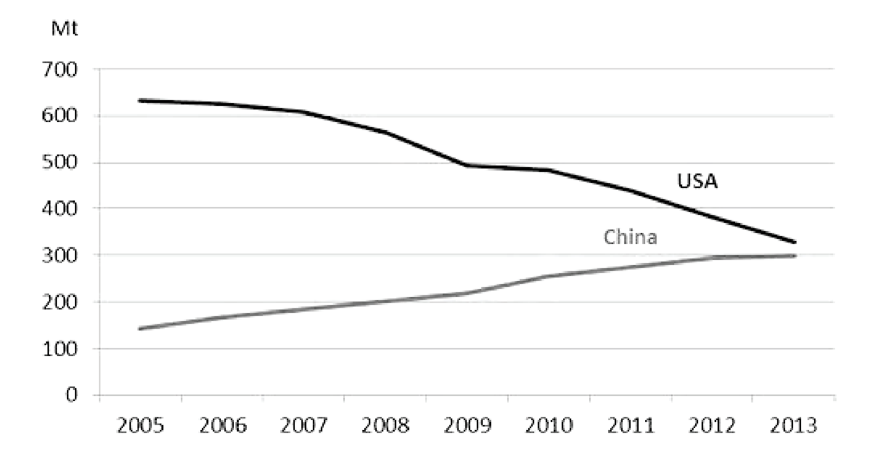
منذ بدايات القرن الحادي والعشرين ،ازدادت اهتمامات الصين بالمنطقة العربية لاعتبارات المصالح والنفوذ ، في ظل تزايد الأهمية الجيوإستراتيجية للمنطقة ، وعليه ؛ عملت بكين على زيادة علاقاتها بدول المنطقة ، لاسيما في المجال الاقتصادي والحصول على إمدادات البترول. فقد أدى ارتفاع معدل النمو الاقتصادي للصين إلى زيادة كبيرة في الطلب على الطاقة ، وخاصة النفط ، ففي عام 2003، كان النفط المستورد يغطي أكثر من 36 % من احتياجات

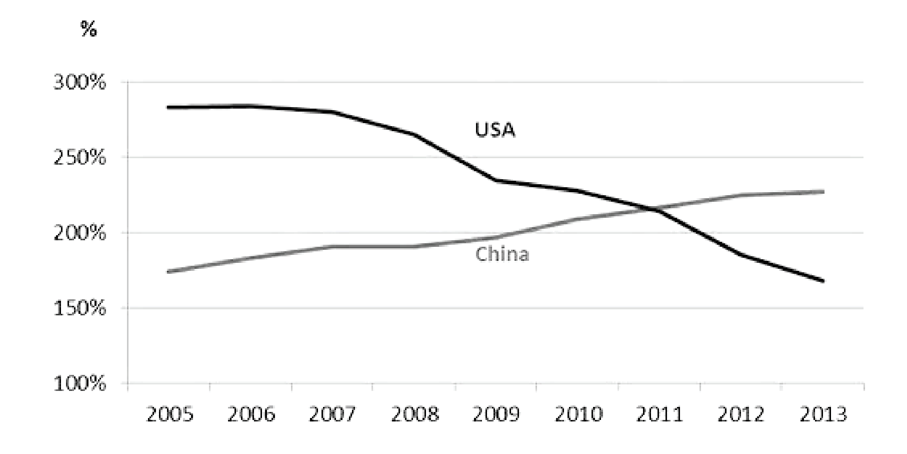
الصين ، وارتفع إلى 40% في عام 2004، مما اضطر الصين إلى أن تستورد نحو 3ملايين برميل من النفط يومياً.[8]

فمنذ سنة 1979 ، وعندما أطلق الرئيس الصيني دينغ كسياوبينغ «سياسة الإصلاح والانفتاح » تحول النهج السياسي الصيني في الشرق الأوسط من الموقف الإيديولوجي الجامد إلى خيار النمو الاقتصادي بينما تراجع التفكير الإيديولوجي . وباعتباره أكبر منتج للنفط في العالم ، تزايدت أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للنمو الاقتصادي الصيني وأصبح ضرورياً للصين لكي تؤسس وتؤمَن علاقات جيدة مع كل دول الشرق الأوسط ، بما فيها إسرائيل ، والدول العربية والدول المسلمة سواء شيعية أو سنية . ويمكن أن تفسر المبادرات الدبلوماسية الصينية ومصالحها المتزايدة في الشرق الأوسط باحتياجاتها الطاقوية المزدهرة ، والصين هي دولة معروفة بالاقتصاد الأسرع نمواً والذي جعلها أكبر منتج ومستهلك للطاقة في العالم.[9]

والشكل التالي يبين حجم الاستيراد الأمريكي والصيني للنفط بين 2005 و2013 ونسبة الاعتماد على النفط للبلدين في الفترة نفسها.

شكل1: حجم الإستيراد الأمريكي والصيني للنفط بين 2005 و 2013 ونسبة الإعتماد على النفط للبلدين في الفترة الزمنية نفسها.







المصدر: كريم المفتي ، مصالح روسيا والصين في الشرق الأوسط دراسة تحليلية ، المجلة العربية للعلوم السياسية، العددان 47-48، صيف - خريف 2015 ص.29.

ويتمتع الشرق الأوسط من المنظور الاستراتيجي الصيني بميزتين هامتين من حيث السوق : الأولى ، قرب هذه الأسواق من الأسواق الصينية قياساً بالأسواق الأمريكية أو الأوروبية أو الإفريقية والثانية توفر القدرة الشرائية لا سيما في الدول البترولية . وللاستثمار قرب أسواق الشرق الأوسط ،عززت الصين جهود بعض الدول لإحياء طريق الحرير القديمة ، وتم ربط بعض مناطق الصين بكازخستان كمرحلة أولى ، وتم ربط بعض المقاطعات الغربية الصينية بقطار يصل إلى ألمانيا ويختصر مسافة الانتقال من الصين إلى أوروبا من 36 يوما إلى 13 يوماً في قطار نقل البضائع عبر هذا الخط.[10]

وشهدت المنطقة تضاعفا ملحوظا للاستثمارات الصينية من مليار دولار عام 2005 لغاية 11 مليار عام 2009 ولاسيما في مجال البناء والبنى التحتية المتعلقة بموارد الطاقة ، ونذكر هنا التعاون الصيني المصري في تطوير منطقة اقتصادية خاصة حول قناة السويس . كما ارتفع حجم التجارة بين الصين ودول المنطقة من 25،5 مليار دولار عام 2004 إلى 100 مليار دولار عام 2009 وصولا إلى 222 مليار دولار عام 2012 و 238،9 مليار دولار عام 2013. كما تسعى الصين إلى مضاعفة علاقاتها التجارية مع البلدان العربية ، حيث انعقدت في جوان 2014 في بيكين الدورة السادسة للاجتماع الوزاري لمنتدى التعاون الصيني العربي منذ إطلاق الأخير عام 2004 ، «راميا إلى تعزيز التعاون بين الجانبين في مجالات التجارة والاستثمار وتنمية الموارد البشرية ،الأمر الذي يشكل دليل الخطوات لتطوير العلاقات الصينية العربية في المستقبل».[11]

كما تنوي الجهود الصينية « إنشاء منطقة التجارة الحرة بين الصين ومجلس التعاون الخليجي ودفع تسهيل التجارة الصينية العربية وتنفيذ برنامج الشراكة العلمية والتكنولوجية الصينية – العربية وغيرها » والجدير بالذكر أن الصين لا تقيد جهودها الاستثمارية مقابل أجندات سياسية ضيقة من المطالبة بتطبيق حقوق الإنسان أو مباشرة إصلاحات سياسية ودستورية معينة كما تفعل واشنطن والدول الأوروبية فتفضل الصين بسط مصالحها من طريق ما تسميه « توافق بيكين « أي عرض نموذج اقتصادي للتنمية بمنظور صيني يخدم كل الأطراف ، ويقلل النفوذ الأمريكي في هذه المعادلة السياسية – الاقتصادية.[12]

ثالثاً: الصين والولايات المتحدة في الشرق الأوسط: طبيعـــة الأدوار

1- في مجال الطاقة:

الولايات المتحدة والصين هما أكبر مستهلكين للطاقة في العالم، فضلا عن كونهما اثنين من أكبر مستوردي النفط الخام. وهذا يعطي كل مصلحة طبيعتها في منطقة الشرق الأوسط، التي هي موطن للعديد من أكبر مصدري النفط في العالم ويستحوذ على أكثر من نصف صادرات

النفط الصافية بين الأقاليم على مستوى العالم، الأمر الذي من المتوقع أن يظل ثابتاً نسبياً إلى غاية سنة 2035.[13]

لكن من نواحي أخرى يسير البَلَدان في اتجاهات متعاكسة . حيث من المتوقع أن يتزايد استهلاك النفط الأمريكي بشكل بطيء في العقود المقبلة ، وتراجع اعتمادها على الإمدادات الخارجية من النفط .[14] وقد أدى هذا إلى التفاؤل بشأن «استقلال الطاقة » وفي الحقيقة أن الولايات المتحدة وحلفاءها سيظلون عرضة للزيادات في أسعار الطاقة ، والتي تتحدد في السوق العالمية . بالإضافة إلى ذلك فإن العديد من هؤلاء الحلفاء مثل كوريا الجنوبية وتايوان هم في حد ذاتهم يعتمدون وإلى حد كبير على واردات النفط وسيبقون كذلك في المستقبل المنظور ،[15] وبالتالي فإن الولايات المتحدة الأمريكية ستحتفظ بحصة كبيرة في تأمين تجارة الطاقة على مستوى العالم وهو حافزها إلى حل وتخفيف آثار الأزمات التي تهدد إما برفع أسعار الطاقة أو تقليل الإمدادات.

في المقابل، من المتوقع أن يرتفع الطلب الصيني بسرعة تماشيا مع النمو الاقتصادي والتوسع العمراني وعلى نطاق أوسع، على الصعيد العالمي من المتوقع أن الجزء الأكبر من نمو الطلب على النفط يأتي من البلدان غير الأعضاء في المنظمة، والإنتاج الصيني ليس كافيا إطلاقاً لمواجهة الزيادة حيث سيتزايد بحدة اعتماد الصين على الإمدادات الأجنبية - وبالتالي على مصادر الطاقة في الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من بعض التقارب بين مصالح الطاقة الأميركية والصينية في الشرق الأوسط، هناك عقبات كبيرة تواجه التعاون الثنائي في هذا المجال. و من بينها تورط الصين في التركيز على الاستكشاف والإنتاج في مشاريع الطاقة بدلا من الاعتماد على السوق لتلبية متطلبات التوريد.

2- عدم انتشار أسلحة الدمار الشامل:

وقد أكدت كل من الصين والولايات المتحدة أن لكليهما مصلحة في منع الانتشار النووي في الشرق الأوسط. وبالفعل، فقد تعاونت الدولتان إلى حد ما في الجهود الأخيرة لتفكيك الأسلحة الكيميائية السورية[16] بالاشتراك في دعم عدد من قرارات مجلس الأمن الدولي التي تهدف إلى حل سلمي للأزمة النووية الإيرانية. ومع ذلك، فقد لعبت الصين دورا في تعزيز انتشار في المنطقة، على سبيل المثال من خلال توفير المكونات الحيوية لبرنامج إيران النووي في التسعينيات ، والتعاون الذي يقال إنه استمر على الرغم من عضوية بكين في مجموعة 5+1 والتي تدعم العقوبات الدولية.[17]

3- مكافحـــة الإرهـــاب:

وقد أعربت كل من الولايات المتحدة والصين عن بالغ القلق إزاء انتشار الإرهاب والفكر المتطرف من الشرق الأوسط. بعد هجمات 11 سبتمبر على الولايات المتحدة، دعمت الصين العمل العسكري الذي تقوده الولايات المتحدة في أفغانستان،[18] وهذا على الأقل جزئيا ؛ خوفا من وجود تنظيم القاعدة هناك وانتشار الإسلام في آسيا الوسطى. وفي الآونة الأخيرة، أعربت كل من الولايات المتحدة والصين عن مخاوف جدية من حركة المقاتلين الأجانب من وإلى سوريا والعراق واحتمال أنها سوف تشارك في الهجمات الإرهابية على الأراضي الأمريكية والصينية[19].على الرغم من ذلك، التعاون الأمريكي الصيني على مكافحة الإرهاب فقد أتى بنتائج عكسية بسبب المخاوف الأمريكية بشأن ميل السلطات الصينية إلى الخلط بين المعارضة السياسية والتطرف العنيف؛ وهكذا تعرقل دعم الصين لجهود الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب بسبب اشتباه بكين في أن هذه الجهود تعمل على إبرازقوة الولايات المتحدة وحلفائها في الجوانب التي تعارضها الصين عادة.[20] وهكذا، على الرغم من التداخل الواضح في المصالح الأمريكية والصينية في الشرق الأوسط، هناك عقبات رئيسية للتعاون بين الصين وأمريكا في المنطقة. جزء منه بسبب الطريقة المختلفة تماما في كيفية مواصلة واشنطن وبكين كل هذه المصالح بشكل فردي، بالإضافة إلى أن كل بلد لديه مصالح قوية أخرى لا يشاركه الآخر فيها - على سبيل المثال، الولايات المتحدة في حماية إسرائيل، والصين في تأمين الأسواق الخارجية لقوتها العاملة. كما نشأت صعوبات في التعاون أيضا من الإستراتيجيات الإقليمية المختلفة تماما التي وضعتها كل من الولايات المتحدة والصين، التي تعكس قدرات متباينة على نطاق واسع والأدوار العالمية لكل منهما ، فضلا عن حقيقة أن منطقة الشرق الأوسط منذ فترة طويلة كانت أولوية عليا في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية مما كانت عليه في الصين.

رابعاً:موقف الصين من الثورات العربية:

اقتضى السلوك البراغماتي للسياسة الخارجية الصينية الصمت حيال أحداث العالم العربي بداية ، وأعرضت عن الاعتراف بأن هذه الأحداث ثورات ، وهي تقف مع النظم أياً كانت ، مادامت في السلطة ثم تنسحب عنها إلى تأييد المعارضة والتوافق معها حين تنتقل هذه المعارضة إلى السلطة . ولم يكن هذا جديدا عليها ، ففي أحداث الثورة الإيرانية كانت الصين تقف إلى جانب الشاه ، وتقف سلبياً تجاه الثورة . ومع نجاح الثورة الإيرانية في الإطاحة بنظام الشاه ، أخذت الصين تفتح أبوابها للثورة الإيرانية الوليدة ، ثم غدت أكبر موردي الأسلحة لإيران في حربها ضد العراق ، وكان موقفها الرسمي حيال هذه الحرب أنها تقف على الحياد ، وعلى مسافة متساوية من الجانبين المتصارعين مطالبة كليهما بوقف الحرب وتسوية النزاعات عبر الحوار والتفاوض.[21]

من الناحية التحليلية تناول المحللون الصينيون الثورات العربية من الناحية المادية بشكل أساسي . فالتفاوت في النمو الاقتصادي ومعدلات البطالة المرتفعة في جميع أنحاء العالم العربي بالإضافة إلى التباطؤ الاقتصادي العالمي أدى إلى زعزعة التوازن الداخلي الهش . فيما تضاءلت القوة العالمية للولايات المتحدة وقامت ثورة الاتصالات بدورها ، كان العلماء الصينيون ينظرون إلى الأحداث الجارية في العالم العربي بشكل عام على أنها نتيجة عوامل تُحسن الحكومة الصينية إدارتها في السياق المحلي.[22]

وقد فسر الموقف الصيني حيال أحداث الربيع العربي في بدايته بأنه خشية انتقال عدوى هذه الأحداث إلى الصين ، وهي مهيأة لها بحكم استمرار تسلط الحزب الشيوعي الصيني على مجريات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وخنق الحريات والفساد واسع النطاق ، وسوء توزيع الثروة والدخل ، وهو التفسير الذي تعزز في الإجراءات التي نفذتها الحكومة الصينية على مستوى حظر مواد الانترنيت ، مثل عبارة زهرة الياسمين رمز الثورة التونسية ومصر ، ولكن حين نجحت المعارضة في تونس ومصر ، سعت الصين إلى تحسين صورتها لديهما ، فمنحت تونس هبة مالية بقيمة 40 مليون يوان ، واستقبل اتحاد الصناعات المصري وفداً صينيا يضم ممثلين عن الشركات والمؤسسات التمويلية ، لإبداء الرغبة في التعاون في المجالات الاقتصادية بين البلدين.[23]

في ليبيا ، دعت جامعة الدول العربية بدعم قوي من مجلس التعاون الخليجي إلى قرارات الأمم المتحدة وتحرك منظمة حلف شمال الأطلسي التي أطاحت في نهاية المطاف بمعمر القذافي . دعمت الصين العقوبات المفروضة في قرار مجلس الأمن رقم 1970 ولكن امتنعت عن دعم قرار مجلس الأمن رقم 1973، أدى بهذا الأخير إلى السماح لقوات حلف شمال الأطلسي ، مع المساهمات المتأتية من قطر والإمارات العربية المتحدة ، بدعم المتمردين الذين قاتلوا ضد القذافي ، لكن كما يبدو ، حاولت الصين المراهنة على الطرفين ، من ناحية كانت تدعم الوضع الراهن وعروض مناصرة القذافي في شهر جويلية 2011، ومن ناحية أخرى كانت ترحب بخصوم القذافي.[24]

ويبدو أن الموقف الصيني تجاه الثورة السورية[25]، أخذ يتبلور وفقاً لسياق إستراتيجية جديدة متسقة مع قدرات بكين المتنامية، حيث تجاوز الموقف الصيني من الأزمة السورية حدود عدم الرضا عن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، إلى الموقف المباشر والمعارض لتلك السياسة بشكل علني، بعدما استخدمت الصين حق الفيتو للاعتراض على مشروع القرار العربي الأوروبي، الذي يتبنى دعوة الجامعة العربية لتنحي الرئيس السوري بشار الأسد عن السلطة. الفيتو الصيني الذي عُدّ تطوراً نوعياً مهماً ليس فقط في أسلوب تعامل الصين مع منطقة الشرق الأوسط الغنية بموارد الطاقة الضرورية للمحافظة على نموها الاقتصادي المتسارع، وإنما أيضاً في نظرة بكين إلى دورها الدبلوماسي والسياسي علي الساحة العالمية،

وهي التي تُعد من أقل الأعضاء الدائمين استخداما لحق الفيتو، (استعملته 13 مرة خلال 41 عاماً) لتستخدم هذا الحق أربع مرات لإحباط صدور قرارات عن مجلس الأمن، اثنان منها دعيا إلى تنحي الرئيس السوري (بشار الأسد)، وثالث طالب بتطبيق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة على النظام السوري، الذي ينص على فرض عقوبات، والرابع سعى إلى إحالة الملف السوري إلى محكمة الجنايات الدولية. فعارضت الصين أي تدخل عسكري في سورية، حتى وإن جاء لمحاربة التنظيمات الإرهابية فيها.

يؤكد تغيير الموقف الصيني من أحداث وتحولات مشهد الربيع العربي على نية بكين إبراز نفسها لاعباً جديداً في منطقة الشرق الأوسط، بما يتسق مع مصالحها المتنامية فيها، خاصة فيما يتعلق بالنفط والغاز الطبيعي، ورغبتها في لعب دور دبلوماسي وسياسي عالمي يتناسب مع تنامي قدراتها الاقتصادية والعسكرية في الآونة الأخيرة، ووفقاً لما تمليه شروط علاقاتها وتحالفاتها الدولية. ويمكن أن نضيف أسباباً أخرى:

مساندة النظام دعماً لطهران : بالإضافة إلى أهمية سورية الإستراتيجية بالنسبة إلى الصين، تخشى الأخيرة أن يؤثر سقوط النظام السوري الحالي على مكانة إيران الإقليمية كحليف استراتيجي لسورية، حيث تحتل إيران موقعاً مركزياً في سلم الأولويات الصينية، بسبب تضافر الجيوبوليتيك وتأمين الواردات من الطاقة.

ضرورات التحالف مع روسيا: شهدت العلاقات الروسية الصينية تحسُّناً غير مسبوق في تاريخ العلاقة بين البلدين خلال السنوات الأخيرة، وتدل الاتفاقيات الموقَّعة خلال الزيارة الأخيرة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين (20 من مايو/أيار 2014) إلى شنغهاي، على أن البلدين يُريدان الارتقاء بحجم العلاقات بينهما على مستويات الدفاع والاقتصاد؛ وخصوصاً في مجال الطاقة الذي حقَّق فيه البلدان اختراقًا كبيرًا؛ وبالإضافة إلى حجم صفقة الغاز أثارت المناورات العسكرية البحرية التي جرت بين البلدين خلال زيارة بوتين العديد من التساؤلات؛ خصوصًا حول أسباب التوجُّه الصيني نحو روسيا، وإمكانية بروز تحالف روسي صيني موجَّه ضد الولايات المتحدة الأميركية، عبر التنسيق على عدة مستويات.

خامساً: تأثير الثورات العربية على السياسة الصينية في الشرق الأوسط:

إن اندلاع الثورات العربية في منطقة الشرق الأوسط والتي أسقطت أنظمة استبدادية ظلت لعقود طويلة، أعاد تشكيل الأدوار الإقليمية في المنطقة، وأبان عن مرحلة جديدة من العلاقات الدولية في المنطقة ، وقد واجهت الصين هذا الوضع الجديد بتطوير دبلوماسيتها إزاء التغيرات الراهنة في منطقة الشرق الأوسط، ومحاولة أقلمتها مع الوضع الجديد بالتركيز على المستقبل، وأخذ زمام المبادرة لخلق بيئة مواتية لتعزيز النفوذ السياسي للصين في منطقة الشرق الأوسط.

وقد قدمت التطورات الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط تحديات وفرصًا بالنسبة لسياسة الصين. سواء على أساس مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو على أساس المصالح الوطنية، فلن يكون من المعقول بالنسبة للصين البقاء بعيدة عن شؤون دول الشرق الأوسط. وتشير الأدلة إلى أنه رغم وجود تحديات ومخاطر تتعرض لها السياسة الخارجية الصينية على المدى القصير، إلا أنه هناك فوائد اقتصادية ومزايا إستراتيجية على المدى الطويل.

ولقد ظلت السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط مدفوعة في المقام الأول بالبحث عن الأمن في مجال الطاقة والرغبة في زيادة أسواقها وفرص الاستثمار التي تلقاها في الخارج. إن جوهر السياسة الصينية هو الحفاظ على بيئة دولية مستقرة لتسهيل استمرار الإصلاح والتنمية في الوطن. بالتالي، السياسة الصينية في منطقة الشرق الأوسط تسعى إلى دفع العلاقات الاقتصادية في مجال الطاقة، وبالتالي فإنها تؤيد التعامل مع النزاعات مثل أحداث الربيع العربي في مناخ من التعاون والتفاوض وإدارة الصراع.[26]

وقد قامت الدبلوماسية الصينية الجديدة في منطقة الشرق الأوسط على أسس التعاون مع جميع الفاعلين الجدد ، بما يحقق المصالح المتبادلة بين مختلف الأطراف الفاعلة في المنطقة والصين، مع البحث عن آليات أخرى للتعاون مع البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية في المنطقة.

وسيبقى الشرق الأوسط - الذي يضم حوالي ثلثي احتياطيات النفط في العالم ويتمتع بتكلفة إنتاج منخفضة التكاليف - بالنسبة للصين في المرتبة الأولى كمورد للنفط الخام في المستقبل إلى أجل غير مسمى. وهكذا، في المستقبل غير البعيد ، ستبقى المنطقة بمثابة المصدر الرئيسي للنفط في العالم.[27]

تنظر الصين إلى الثورات والانتفاضات في بلدان الشرق الأوسط كعامل تهديد للاستقرار، وليس كأسس جديدة لتغيير سياستها. زيادة على ذلك، فإنها لا تملك ما يقترب من مقدار القدرة العسكرية التي يمكن للولايات المتحدة أن توفرها للمساعدة لضمان أمن أي من الحلفاء الإقليميين. وهذا سبب أن رد فعل الصين على الثورات يشير إلى عدم الرغبة في تشكيل الوضع السياسي، من خلال تبني سياسة رد الفعل حيث أن الشاغل الرئيسي لبكين في منطقة الشرق الأوسط لا يزال تجاريًا وليس سياسيًا وعليه فهي ستحاول الحصول على حصتها من الأسواق العربية والاستمرار في متابعة الاتفاقيات الاقتصادية والعقود التجارية، بدلا من لعب لعبة محصلتها صفر على حساب المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة.

الخاتمـة:

تنطلق البراغماتية الصينية من فلسفة سياسية تَضَع مصلحة الصين الذاتية فوق كل شيء، حيث تتبنى الصين ومنذ السير على خطوات الانفتاح الكبير الذي شق طريقها قائد الدولة والحزب (دنغ سياوبينغ) منذ عام 1978، مجموعة أفكار وخطة عمل لنظام مُميّز في إدارة الحكم والاقتصاد والتنمية المجتمعية والعلاقات الدولية، مع التركيز على إحداث التنمية الاقتصادية بالدرجة الأولى وذلك بوتيرة سريعة ودونما تراجع ، والتي بدورها ستحقق الاستقرار السياسي وتحافظ عليه، وإعطاء الأولوية لمُتطلبات بناء الدولة وتحقيق التنمية المجتمعية الشاملة، والتأكيد على مركزية الحكم والقيادة الجماعية.. وعلى هذا الأساس فإن محاور عمل القيادة الصينية ترتكز على ثلاثة أسس :

الاقتصاد أولا: حيث ترى بكين ضرورة إخضاع السياسة للاقتصاد، وإخضاع المبادئ للمصالح، وعدم الخوض في قضايا دولية لا تؤثر مباشرة على أمن الصين ومصالحها الاقتصادية.

أسلوب إدارة الصين للعلاقات الدولية: حيث من الضروري السعي لتجنب الدخول في نزاع سياسي واسع مع الأطراف الكبرى في العالم، مع المساهمة في ولادة عالم مُتعدد الأقطاب والمشاركة في الساحة السياسية الدولية وإدارة الأزمات العالمية دون التورط في الجانب العسكري منها.

العمل على تطوير الأوضاع الداخلية للصين: من خلال تكريس منطق انتقال السلطة بين الأجيال ومكافحة الفساد والأمراض المستشرية في عموم أجهزة الدولة والبيروقراطية والعمل على تمكين الأجيال من حقها في المكاسب والمشاركة في تحصيلها. وبناءا على ما سبق تتضح الصورة الإجمالية لمسألة البراغماتية الصينية ، فالصين تتجنب التورط في الأزمات الدولية والانغماس في متاهتها، رغم وزنها الدولي والمكانة التي بلغتها ، فهي تفضل العمل على الجانب الاقتصادي والتركيز عليه وتأمين مصالحها المتشابكة دون أن تخسر أي طرف حسب توجهها البراغماتي حيث أنها في مسألة الثورات العربية كانت متحفظة في البداية لأن عنصر المفاجأة في هذه الثورات كان هو الغالب ، واستمرت في تتبع الأحداث دون أن تبدي تحيزا واضحا تجاه طرف بعينه وفي النهاية فضلت التعامل بشكل عادي مع الحكومات الجديدة لأن هدفها الأول كان ولا يزال تأمين الطاقة وضمان استمرارية مشاريعها الاستثمارية والتجارية في المنطقة ، وبالنسبة لتعاملها مع القضية السورية فلا تخرج أيضا عن هذا التوجه كون مواقفها تصب في رغبتها في الاحتفاظ بحلفائها روسيا وإيران اللتان تجمعهما معها مصالح جد هامة. ومن الواضح أن التوجه البراغماتي للصين في الشرق الأوسط بعد الثورات العربية قد أبقى على مسافات ثابتة في تعامل الصين مع دول الشرق الأوسط كونها عملت على إرساء توازنات في علاقاتها ومصالحها في المنطقة ، وسعيها إلى إقامة نظام دولي متعدد الأقطاب تكون فيه الولايات المتحدة الأمريكية أحد الأقطاب وليس كلها.

الهوامش:

1 منصور بن عبد العزيز الحجيلي ، البراغماتية عرض ونقد، الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة الأديان والفرق والمذاهب - مجلة الدراسات العقدية - العدد الرابع، المدينة المنورة، ص 278. على الموقع:

pragmatije.pdf http://aqeeda.org/book/el - .2017/02/12 :تم الاطلاع على الموقع بتاريخ

2 المرجع نفسه، ص.279-280 .

3عبد الكريم صالح المحسن ، البراغماتية في النهضة الصينية المعاصرة ، مجلة سطور، على الموقع الإلكتروني:

http//:www.sutuur.com/all-articles-3080/abd.html.2017/02/20 :تم الاطلاع على الموقع بتاريخ

4 للمزيد انظر:نبيل سرور، الصراع على النفط والغازوأهمية منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجية - https://www.lebarmy.gov. lb/ar/content تم الإطلاع على الموقع بتاريخ: 2017/02/18.

5 عزمي بشارة، في الثورة والقابلية للثورة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ص.22 على الموقع :

http://www.asharqalarabi.org.uk/markaz/d-28082011.pdf 2016/12/30 :تم الاطلاع على الموقع بتاريخ

6 Richard Labevière, « Printemps été et automne Arabe : Révolutions et Contre Révolutions Poste globales ; »La revue Internationale et stratégique, no.85 (automne 2011),p. 75

7 عمر كوش، في مفهوم الثورات العربية، المستقبل، ع.4293 ، ص 19 ، 23 مارس 2012.

8 نان لي ، الجغرافية السياسية وقوى السوق : العواقب السياسية لمحدودية الإمدادات في الصين والهند والولايات المتحدة الأمريكية: التنافس على موارد الطاقة (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، 2008)،ص.142.

9 Wang Jin , Selective Engagement : China's Middle East Policy After the Arab Spring,Strategic Assessement /volume 19/no.02/July 2016,p 105.

10 وليد عبد الحي ، متغيرات الإستراتيجية الصينية في الشرق الأوسط، تقارير مركز الجزيرة للدراسات، 2011،ص4-5. على الموقع:

http//:studies.aljazeera.net/ar/reports.201112484450942361/12/2011/html

11 كريم المفتي، مرجع سابق. ص30-31.

12 المرجع نفسه، ص.31.

13 «BP Energy Outlook 2035.» BP, Jan. 2014. Web.available from https//:www.bp.com/content/dam/bp/pdf/energy-economics/energy-outlook/2015-bp-energy-outlook-2035-booklet.pdf retrieved 10/02/2017

14 Ibid.

15 Energy Information Administration, "Countries Index," Department of Energy. available from http://www.eia.gov/beta/international/index.cfm?view=consumption retrieved 22/02/2017.

16 United Nations Meetings Coverage and Press Releases, "Security Council Requires Scheduled Destruction of Syria's Chemical Weapons, Unanimously Adopting Resolution 2118 (2013)," United Nations,

available http://www.un.org/press/en/2013/sc11135.doc.htm retrieved 20/02/2017.

17 Jacques deLisle, "9/11 and U.S.-China Relations," Foreign Policy Research Institute, September 2011, available from http://www.fpri.org/articles/2011/09/911-and-us-china-relations retrieved 20/02/2017.

18 Zhao Huasheng, "China and Afghanistan: China's Interests, Stances and Perspectives," Center for Strategic and International Studies, March 2012.

19 Timothy Gardner, "U.S. Concerned Foreign Fighters in Syria are Working with Yemenis," Reuters, July 13, 2014, U.S. edition. available from : https://www.google.com/search?q=%2C+http%3A%2F%2Fwww.reuters.com%2Farticle retrieved 17/02/2017.

20 Ben Blanchard, "China Says May Have Citizens Fighting in Iraq," Reuters, July 28, 2014, U.S. edition, available from http://www.reuters.com/article/us-iraq-security-china-idUSKBN0FX0FV20140728 retrieved 20/02/2017.

21 مصالح الصين وأهدافها في الشرق الأوسط، على موقع:

http//:www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia21/MsalhChina/sec05.doc_cvt.htm

تم الاطلاع على الموقع بتاريخ : 2017/02/20.

22 جون ب. ألترمان ، إقامة توازن صيني في الخليج، كتابات سياسية حول الشرق الأوسط مختارات من مطبوعات برنامج الشرق الأوسط ، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (2010-2014).

23 مصالح الصين وأهدافها في الشرق الأوسط، مرجع سابق.

24 جون ب. ألترمان ،مرجع سابق.

25 للمزيد انظر: ساشا العلو، الدور الصيني في الملف السوري، على الموقع :

https//:www.alsouria.net/content

تم الاطلاع على الموقع بتاريخ: 17/02/2017.

26 John B. Alterman and John W. Garver, The Vital Triangle: The United States, China and the Middle East (Washington, D.C.: Center for Strategic and International Studies, 2007); Geoffrey Kemp, "The East Moves West," National Interest, Vol. 84 (2006), p 75

27 Charles Ziegler, "The Energy Factor in China's Foreign Policy," Journal of Chinese Political Science, Vol. 11 (2006), pp 1-23.